بسم الله الرحمن الرحيم

صلة الرحم

قال رب العزة فى الحديث القدسى:

١ « أنا الرحمن ،خلقت الرحم، وشققتُ لها اسماً من اسمى،مَنْ يصلها أصله،ومن يقطعها أقطعه فأبتُّه» (١).

الحق سبحانه يريد أن نتذكر دائماً أنه يحنو علينا ويرزقنا، ويفتح لنا أبواب التوبة باباً بعد آخر، فهو الرحمن ذو الرحمة الواسعة.

والرحمة والرحمن والرحيم · ·مشتق منها الرحم الذى هو مكان الجنين فى بطن أمه · · هذا المكان الذى يأتيه فيه الرزق · ·بلا حول ولا قوة · · ويجد فيه كل ما يحتاج إليه نموه مُيسَّرًا · ·رزقًا من الله سبحانه وتعالى · · بلا تعب ولا مقابل.

انظر إلى حُنُوِّ الأم على ابنها وحنانها عليه · · وتجاوزها عن سيئاته وفرحته بعودته إليها.

فهو سبحانه لا يأخذنا بذنوبنا ،ولا يحرمنا من نعمه، ولا يهلكنا بما فعلنا،ولذلك فنحن نبدأ تلاوة القرآن الكريم بسم الله الرحمن الرحيم ، لنتذكر دائماً أبواب الرحمة المفتوحة لنا،نرفع أيدينا إلى السماء ونقول : يارب رحمتك، تجاوز عن ذنوبنا وسيئاتنا.

وبذلك يظل قارئ القرآن متصلاً بأبواب الرحمة ،كلما ابتعد عن

---

(١) أخرجه أحمد فى مسنده (١/ ١٩١ -١٩٤) والترمذى فى سننه (١٩٠٧) وقال : حديث صحيح. وكذا أخرجه أبو داود فى سننه (١٦٩٤) كلهم من حديث عبد الرحمن بن عوف.

الرحيم أسرع ليعود إليه ، فما دام الله رحمانًا رحيمًا لا تغلق أبواب الرحمة أبدًا.

وحين تبدأ العمل الحلال باسم الله ، فأنت تعرف أن الحق معبود ، وله أوامر بـ « افعل» ،وله نَواهٍ بـ « لا تفعل».

وإياك أن تستحى إن كنت عاصيًا أن تستفتح أعمالك باسم الله ، لأن الله لا يحقد على خَلْقه، ولا يتغير على خلقه، ولا ينفض يده من أمور خلقه.

فإن كنت قد عصيت الله فى شىء فأقبل على عملك باسم الله ؛لأنه رحمن؛ ولأنه رحيم، فهو سبحانه وتعالى حين شرع عقوبة على معصية من المعاصى، فمعنى ذلك أنه أَذِنَ بأن تقع تلك المعصية.

فإن كنت قد عصيت الله، وتخجل من أن تبدأ عملك باسم الله الرحمن الرحيم، فتذكّر أن الحق تبارك وتعالى « رحمن» و «رحيم» ، ونعرف أن الاشتقاق فى « رحمن» و « رحيم» من الرحم.

والرحم هو مكان الجنين فى بطن أمه،وهو منتهى الحنان.

ولله [illegible] هنا فى الحديث القدسى حديث الله سبحانه عن صِلَة الرحم، [illegible] نَّان على عباده ،وعَطُوف عليهم.

كلنا نعيش برحمات الله،حتى الكافر يعيش على الأرض برحمة الله،ويأخذ أسباب حياته برحمة الله،والنعم والخيرات التى يعيش عليها تأتيه بسبب رحمة الله.

والمؤمن يأخذ نعم الدنيا برحمة الله ، ويزيد الله له بالبركة والاطمئنان، والاطمئنان نعمة كبرى، فمن يَعِشْ فى هذه الحياة وهو مطمئن إلى غاية أفضل من هذه الحياة ، فهذا لون عظيم من الاطمئنان.

يقول الحق سبحانه:

﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦)﴾.

(البقرة: ١٥٦)

هؤلاء يقول عنهم:

﴿ أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧)﴾..

(البقرة: ١٥٧)

فالصلاة من الله عطاء الرحمة والبركة.

والصلاة من الملائكة استغفار.

والصلاة من المؤمنين دعاء.

ويقول الحق سبحانه:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢١٨)﴾. (البقرة: ٢١٨)

إن الدنيا كلها مسخرة تحت قهر الرحمن ومشيئته وتسخيره، وله تمام التصرف فى كل الكائنات،وهو الخالق البديع ،ولكن ما هى الرحمة؟

الرحمة : ألا تُبتلى بالألم من أول الأمر، أما الشفاء: فهو أن تكون مصاباً بداء ويُبْرئك الله منه ، لكن الرحمة هو ألا يأتى الداء أصلاً.

والله سبحانه وتعالى يعلم عن عباده أن أحدًا منهم قد لا يبرأ من أن يكون له ذنب ، فلو حاسبنا بالمعايير المضبوطة تمامًا فلسوف يتعب الإنسان منا.

ولذلك أحب أن أقول -دائماً - مع إخوانى هذا الدعاء:

«اللهم بالفضل لا بالعدل، وبالإحسان لا بالميزان، وبالجبر لا بالحساب».

أى : عاملنا بالفضل لا بالعدل ، وبإحسانك لا بالميزان، لأن الميزان يُتعبنا.

ولقد علَّمنا رسول الله ﷺ أن دخول الجنة لا يكون بالأعمال وحدها، ولكن بفضل الله ورحمته ومغفرته، فيقول ﷺ : « **لن يدخل أحدكم الجنة بعمله . فقالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا حتى يتغمدنى الله برحمته**»(١) .

إذن: فالمؤمن يرجو الله ، ولا يشترط على الله ، إن المؤمن يتجه بعمله خالصاً لله ،يرجو التقبل والمغفرة والرحمة ، وكل ذلك من فضل الله.

والحق سبحانه يقول:

﴿ **كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴿٥٤﴾ ﴾. (الأنعام: ٥٤)

والكتابة تدل على التسجيل ، ولا أحد يُوجب على الله شيئاً ؛ لأنه خالق الكون ، وله فى الكون طلاقة المشيئة، فلا أحد يكتب عليه شيئاً ليلزمه به ، ولكنه سبحانه هو الذى أوجب على نفسه الرحمة.

ومن ظواهر رحمة الله سبحانه:

﴿ **أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾.

(الأنعام : ٥٤)

وتشريع التوبة هو رحمة من الله تعالى بعباده الذين يرتكبون الذنب فى حالة الحماقة والطيش ، ويُقبلون على التوبة فوراً، هؤلاء يقبل الحق سبحانه توبتهم.

أما الذين لا يندمون على فعل السوء ، ولا يُقبلون على التوبة من فَوْر

(١) حديث متفق عليه . أخرجه البخارى فى صحيحه (٦٤٦٤) ومسلم فى صحيحه (٢٨١٨) من حديث عائشة -رضى الله عنها.

ارتكاب الذنب ، وينتظر الإنسان منهم مجيء الموت ليتوب قبله . أى : وهو فى حالة الغرغرة- وهى تردد الروح فى الحلق عند الموت.

هؤلاء لا تُقبل لهم توبة.

﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾.

(النساء : ١٨)

والحق سبحانه وتعالى تواب ورحيم، وكلمة تواب صيغة مبالغة، وكلمة رحيم صيغة مبالغة، وهذا لا يعنى بالنسبة لله أن هناك صفة لله تكون مرة ضعيفة ومرة قوية،فكل صفات الله واحدة فى الكمال المطلق.

وصيغة المبالغة فى الخلق إما أن تنشأ فى قوة الحدث الواحد، وإما أن تنشأ من تكرار الحدث الواحد.

إن قولك « الله تواب» معناه ، أنه عندما يتوب على هذا وذاك وعلى ملايين الملايين من البشر . فالتوبة تتكرر.

وإذا تاب الحق فى الكبائر ، أليست هذه توبة عظيمة؟

هو تواب ورحيم ؛ لأنه سبحانه وتعالى يتصف بعظمة الحكمة والقدرة عَلى الخلق والإبداع ،وهو الذى خلق النفس البشرية ، ثم قنن لها قوانين.

وهو سبحانه حين تاب على العاصى رحم من لم يَعْصِ، إنه القائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾﴾. (النساء:١٦)

ولو قال الحق: إنه تواب فقط ، لأذنب كل واحد منا لكى يكون الوصف معه، وقائم به لا محالة، ولكنه قال أيضاً: ﴿تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾﴾. (النساء:١٦)

أى : أنه يرحم بعضاً من خلقه فلا يرتكبون أى معصية من البداية ، فالرحمة ألا تقع فى المعصية.